والصفات الحميدة فيكون نظيره قول الشاعر « إذا وجدت مكان القول ذا سعة فقل
وفيه مثلنا القسم الذي ذكر الناظم وأما القسم الذي يحتوي على وجهين من الذم فيأتي
بيتا في تمام وهو عن معنى فيه ويحتمل أن يراد به ضد الطول وأن يراد به الخمول وكلاهما
ذم فيصح الذم على الأول أن من الشعر لا يحفظ طوله لأن الغير قيل فيهم ليست لهم
فائدة تذكر فيطول الشعر بسببها ومعنى الذم على الثاني أن من الشعر حصل له خمول
بسبب من قيل فيهم لأنهم خاملون لا فائدة لهم وأما القسم الذي يحتوي على مدح وعلى
ذم فليس بذم فنحو قول النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا «
أراد الطول في الكرم وهو معنى المدح ويحتمل الطول الذي هو ضد القصر وهو الذي فهمه
زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن فكن بعده يقسن أيديهن لينظرن أيتهن
أطول يدا فلما ماتت ميمونة رضي الله عنها وهي أول من ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم
علمن أن المراد طول اليد بالصدقة وأما القسم الذي يحتوي على وجهين ليسا بمدح ولا
ذم فنحو ما روي أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة خرج إليه رجل من أهلها يقال له عبد
المسيح فلما مثل بين يديه قال انعم صباحا أيها الملك فقال له خالد لقد أغنانا الله عن
تحيتك هذه فسلم عليكم ثم قال من أين أقصى أثرك فقال من ظهر أبي قال من أين خرجت قال
من بطن أمي قال فعلى م أنت قال على الأرض قال ففيم أنت قال في ثيابي قال ابن كم أنت
قال ابن رجل واحد قال خالد رضي الله عنه ما رأيت كاليوم أسأله عن الشيء وهو
ينحو غيره وأما القسم الذي يحتمل المدح والذم فهو التوجيه المتفق عليه ومنه
قوله تعالى حكاية عن اليهود واسمع غير مسمع وراعنا وإلى هذا أشار بقوله تعالى غير
مسمع يحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها ومنه قولهم أسمعته إذا سببته أي
اسمع غير مأمور ومن المعنى اليوم جاري على ألسنة الناس يقولون افعل كذا غير مأمور ولا
من آيساتنا « بغيظكم أزجى وطب نفسا لظاهركم » فحل غير مأمور ولا تطل ««
ويحتمل الذم أي اسمع لا سمعت دعوا عليه صلى الله عليه وسلم بالموت أو بالصمم أو اسمع

غير

غير مجاب إلى ما تدعوا إليه أي غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو قوله
راعنا يحتمل المدح أي انظرنا في مصالحنا وتدبر أمرنا ويحتمل الذم لأنها كانت عندهم لفظ
سب بالعبرانية يتسابون بها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إذا لم تستحي فاصنع ما شئت
يحتمل المدح فيكون المعنى إذا لم تفعل فعلا يستحى منه فاصنع ما شئت ويحتمل الذم فيكون
المعنى إذا لم يكن لك حياء يصدك عن فعل القبيح فاصنع ما شئت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين يحتمل الذم فيكون المعنى أنه وقع في كلام الناس لا
يقدر على إقامة الحق فيه والعدل وهو شديد الألم كمن ذبح بغير سكين ويحتمل المدح
فيكون المعنى لشدة ما يحمله من وجود حقوق المسلمين والنظر في مصالحهم فمن وقع في تعب
عظيم كتعب من ذبح بغير سكين ومنه قول أبي القاسم محمد بن داود إذا لا تذكر لبس «
« لا ما الكل التي حاز شلو طعينهم » حمشا عليه من النفس المتكسر «
فإنه يحتمل المدح والمعنى أن المقتول من هؤلاء القوم لشدة شجاعته لا يقع إلى الجمع الكثير بنفسه
فلا يموت حتى يتكسر رماحهم فيه فيصير جسده كله رماحا متكسرة فلا يقوى الذئب
على أكله ويحتمل الذم والمعنى أن من قاتل هؤلاء القوم لا يقدر وزعا فيقتل من أعدائهم حتى
يجتمع عليه منهم عدد كثير لضعفهم وعجزهم فيطعنه كل واحد منهم فيصير جسده كله
رماحا متكسرة وهذا عيب عظيم عندهم وقد صرح به بعضهم فقال «
« تجمعتم من كل أوب ووجهة » على واحد لا زلتم قرن واحد «
فعلى المدح يكون المقتول منهم والرماح المتكسرة رماح أعدائهم وعلى الذم يكون المقتول
من أعدائهم والرماح رماحهم ومنه قول المتنبي في كافور «
« ولله سر في علاك وإنما » كلام العدى ضرب من الهذيان «
بقوله ولله سر في علاك يحتمل المدح والمعنى أن الله أراد أن يظهر سر حكمته حيث ملكه
الدنيا بغير العقل وهو الكيس ويحتمل الذم والمعنى أن الله أراد أن يظهر حقارة الدنيا
إذ هو ضعيف في رجل لو كان له قدر ما أوطنا البطحاء وينظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام